

وظائف الاعتراض وأساليبه

- في نماذج وصور لعبد اللطيف أحمد الشويرف -

د. حواس بري

جامعة للجزائر

مقدمة:

اعتنى النقاد العرب القدامى بمبحث الاعتراض في تراثهم النقدي والبلاغي، وأقاموا له الشواهد من القرآن الكريم وفصيح الشعر، والحديث النبوي الشريف. والاعتراض في قراءاتهم، منه ما هو جيد في موضعه من النص ومنه ما هو مقحم كونه حشواً يؤتى به لإقامة الوزن فقط.

وقبل الولوج في الدراسة التطبيقية، نرى أن نقدم مهذاً نعرّف به الاعتراض لغة واصطلاحاً ثم نعرض لمواضع الاعتراض في شواهدنا ونصوصها، ثم نقف وقفة متأنية عند هذه الظاهرة التي اهتم بها النقد العربي قديماً، واستقامت ظاهرةً أسلوبية عند عبد اللطيف أحمد الشويرف الذي وظفها بوعي وتكررت في كتابه "نماذج وصور" وأغرت الباحث بالدراسة.

أما قبل فسنعرف الاعتراض لغة واصطلاحاً ثم نقف على شواهد من القرآن الكريم وجيد الشعر ثم الحديث النبوي الشريف، اعتماداً على بعض كتب التراث النقدي والبلاغي. والغاية من ذلك الوقوف على وظيفة الاعتراض ثم الأساليب التي ترد على منوالها.

وتسعى الدراسة لتجيب عن التساؤلات الآتية:

- هل يمثل الاعتراض ظاهرةً أسلوبية في متن الدراسة ؟
- وهل استطاع الكاتب أن يوظف الاعتراض وفق رؤيته الخاصة ؟
- وهل تجاوز الكاتب السائد من أساليب الاعتراض إلى أساليب تميزه ؟

- تعريف الاعتراض:

جاء في اللسان، يقال اعتراض الشيء دون الشيء: تكلفه واعترض عرضه: نحاً نحو. واعترض له بسهم: أقبل فرماه فقتله. (1)

ورود في صبح الأعشى ما يفيد المدلول اللغوي للاعتراض قوله يصف نهر قزل صو: النهر الأحمر وهذا النهر صعب المخاض واسع الاعتراض عالي المهبط زلق المسقط مرتفع المرتقى يعد المستسقى" (2) وورد في الفوائد وقام إبليس ناحية لم يسجد: لأنه حيث وقد تكوّن بنجاسة الاعتراض.

وفي الحديث إياك واللّو، فإن اللّو من الشيطان، يريد قول المتنمّد على الفأنت لو كان كذا لقلت وفعلت. وكذلك قول المتمني؛ لأنّ ذلك من الاعتراض على الأقدار (3). وهذه بعض الشواهد اللغوية الدالة على معنى الاعتراض.

والاعتراض من المباحث النقدية التي تحدث عنها النقاد المتقدمون وسماه بعضهم التفاتاً. قال الحاتمي عن الالتفات "وسماه قوم الاعتراض" (4) وقال ابن شيق عنه "وهو الاعتراض عند قوم". (5) وهذا مما يدل على أنّ القدامى لم يفصلوا المصطلحين عن بعض فهو اعتراض مرة والتفات أخرى شأنه شأن غيره من المصطلحات البلاغية والنقدية في بداية نشأتها والتتظير لها. (6)

أما الاعتراض وقد استقر مصطلحاً نقدياً، اتضحت معالمه وحدوده، فسنعرض إليه بشيء من الإيجاز في بعض مصادره، حتى تكون هذا الإطلالة عوناً لقراءة الاعتراض بوصفه ظاهرة أسلوبية في نماذج وصور.

فقد ورد في خزانة الأدب "أن الاعتراض هو عبارة عن جملة تعترض بين الكلامين، تفيد زيادة في معنى غرض المتكلم، ومنهم من سمّاه الحشو... والفرق بينهما ظاهر وهو أنّ الاعتراض يفيد زيادة في غرض المتكلم والناظم. والحشو إنما يأتي لإقامة الوزن لا غير. (7) وبالنظر إلى الآيات والشعر يتضح الفرق بين الاعتراض والحشو جلياً.

أما شواهد الاعتراض فكقوله تعالى: "فلا أقسم بمواقع النجوم وإنه لقسم لو تعلمون عظيم إنّه لقرآن كريم". ففي هذا الكلام اعتراضان. أحدهما "وإنّه لقسم- لو تعلمون- عظيم" وذلك اعتراض بين القسم الذي هو فلا أقسم بمواقع النجوم وبين جوابه الذي هو "إنه لقرآن كريم". وفي نفس هذا الاعتراض، اعتراض آخر، بين الموصوف الذي هو "قَسَمَ" وبين صفته

الأثر - مجلة الآداب واللغات - جامعة قاصدي مرباح ورقلة - الجزائر - العدد الخامس - مارس: 2006م -
التي هي "عظيم" وهو قوله "لو تعلمون" فذلك اعتراض كما ترى. (8) ولم يؤت بالاعتراض
إلا لغاية وفائدة. وفائدة الاعتراضان في الآية هي:

أما فائدة الاعتراض الأول (بين القسم وجوابه)، إنما هي تعظيم لشأن المقسم به في
نفس السامع".

أما فائدة الاعتراض الثاني (بين الموصوف والصفة) فذلك الأمر بحيث لو عُلِمَ
وفي حقه من التعظيم.

وهذا مثل قولنا: إنَّ هذا الأمر لعظيم؛ بحيث لو تعلم يا فلان، عَظَمَهُ لِقَدْرَتِهِ حَقَّ
قدره، فإنَّ ذلك يكبر في نفس المخاطب ويظل متطلعا إلى معرفة عظمه. (9)

ولا يفوتنا أن نشير إلى أن الاعتراض في الآية السابقة هو من قبيل الاعتراض
المركب الذي أخذت ألفاظه بحجز بعضها وتضامنت حتى أبانت عن هذا التركيب البديع.
وبرؤية أخرى (مفهوم الاحتواء) فتجد الاعتراض الثاني الواقع بين الصفة والموصوف داخل
الاعتراض الكائن بين القسم وجوابه.

فتأمل رسمه في الآية "فلا أقسم بمواقع النجوم - وإنه لقسم - لو تعلمون -
عظيم - إنه لقرآن كريم في كتاب مكنون".

والتركيب - كما رأيت - يدل على إعجاز القرآن الكريم ومتانة أسلوبه، كما يدل
على العقلية العربية الذكية التي اهتدت إلى استخراج هذه الشواهد وأمثالها وأبانت عن جمال
نظمها ودقة تركيبها. ومن أمثلة الاعتراض في القرآن الكريم أيضاً قوله تعالى:

- 1- "فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا - فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة". (10)
- 2- وقوله جلَّ شأنه "قالت ربِّ إني وضعتها أنثى وليس الذكر كالأنثى". (11)
- 3- وقوله جلَّ شأنه "اليوم تجزى كل نفس بما كسبت - لا ظلم اليوم - إن الله سريع
الحساب". (12)

والاعتراض في القرآن الكريم تكرر بقدر لافت وفي كل مرة لغرض وغاية، وفي
هذا المعنى يقول ابن الأثير وقد ورد الاعتراض في القرآن الكريم كثيراً، وذلك في كل
موضع يتعلق بنوع من خصوصية المبالغة في المعنى (13) وتلك دلالة وظيفية ينص عليها
قانون الاعتراض كلما ورد في النظم القرآني؛ لأن القرآن لا حشو فيه.

أما شواهد الاعتراض من الشعر فهي كثيرة كذلك وسنسوق بعضها منها على سبيل الاستئناس لأن الحيز المخصص لا يفي باستيعاب آيات القرآن الكريم والشواهد الشعرية جميعها. فمن معالم الاعتراض في النظم قول الشاعر في الإصبع العدوانى:

ولي ابن عم - على ما كان من خلق -
مختلفان فأقيله ويقليني
وقول طرفه:

فسقى ديارك - غير مفسدها -
صوبُ الربيع وديمة تهمني
وقول زهير:

إن الثمانين - وبلغتها
قد أحوجت سمعي إلى ترجمان
وقول المتنبى:

وخفوق قلب لو رأيت لهيبه
- يا جنتي - لرأيت فيه جهنم

ومن شواهد في الحديث النبوي الشريف. قوله صلى الله عليه وسلم - "ما من عبد مسلم يصلّي لله كل يوم اثنتي عشرة ركعة - من غير الفريضة - إلاّ بنى له بيتاً في الجنة" (14) قوله من غير الفريضة اعتراض جيء به لبيان الصلاة المعدودة كونها نافلة.

وقوله صلى الله عليه وسلم "لا يزني الزاني حين يزني - وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن ولا يسرق حين يسرق وهو مؤمن ولا ينتهب نهبة يرفع الناس إليه أبصارهم حين ينتهبها وهو مؤمن". (15)

وقوله وهو مؤمن في المواضع الأربعة جملة حالية اعتراضية وفائدتها "سلب الإيمان الكامل بهذه المعاصي... وهذا من باب الإنذار بزوال إيمان من استمر على هذه المعاصي بالدوام. (16)

وتلك دلالة على أن الاعتراض ظهر أسلوبى في الحديث النبوي الشريف، يؤتى به لغاية ووظيفة يقف عليه شراح الحديث وفقهاء اللغة منهم خاصة.

الحشو:

أما الحشو. فحده "كل كلام أدخل فيه لفظ مفرد أو مركب لو أُسْقِطَ لبقى الأول على حاله. مثال ذلك لو قلنا زيد قائم فهذا كلام مفيد وهو مبتدأ وخبر. فإذا أدخلنا لفظاً مفرداً. قلنا: زيد - والله - قائم ولو أزلنا القسم منه لبقى الأول على حاله. وإنما أدخلنا في

الأثر - مجلة الآداب واللغات - جامعة قاصدي مرباح ورقلة - الجزائر - العدد الخامس - مارس: 2006م -
هذا الكلام لفظاً مركباً. قلنا: زيد - على ما به من المرض - قائم فأدخلنا بين المبتدأ والخبر
لفظاً مركباً وهو قولنا، فهذا هو الاعتراض". (17)

ويفهم من كلام ابن الأثير أن الحشو إذا أدخل في البين ثم حذف منه يظل المعنى
قاراً غير متغير "يأتي فيه الكلام كخروجه منه فلا يكتسب منه حسناً ولا قبحاً" أما الاعتراض
- فهو الكلام الذي يعترض كلاماً متصلاً لغاية.
وهذا هو الفرق بين الحشو والاعتراض.
وأما شواهد الحشو فكثيرة كقول النابغة:

يقول رجال يجهلون خليقتي لعل زياداً - لا أبالك - غافل
فقوله: لا أبالك - من الاعتراض الذي لا فائدة فيه وليس مؤثراً في هذا البيت حسناً ولا قبحاً.
(18)

ومما ورد منه قول الآخر:

فقد - والشك - بين لي عناء بوشك فراقهم صرة يصيح
قال ابن الأثير (*) فإن هذا البيت من رديء الاعتراض. ما أذكره لك؛ وهو الفصل بين قد
والفعل الذي هو بين. وذلك قبيح لقوة اتصال قد بما تدخل عليه من الأفعال. ألا تراها تعد
مع الفعل كالجزم منه ولذلك أُدْخِلَتْ عليها. والمراد بها تأكيد الفعل كقوله تعالى "ولقد علموا
لمن اشتراه ما له في الآخرة من خلاق". (19)
مواضع الاعتراض وغاياته:

إذا كانت القاعدة المعيارية في البلاغة والنحو تُعد تقليداً نمطياً يسير عليه الشاعر
والكاتب، فإن الركون للقاعدة يُعد موتاً لقريحة المبدع. ومن ثم فإن الشواهد التي سنسوقها لا
تُعد هي النمط الذي سار على منواله الشعراء وألزموا على أنفسهم به؛ لأن المبدع - عادة -
ما يتمرد على القاعدة ويبني على غير مهيعها، مما يجعل لنصّه خصوصية تميزه عن غيره،
وذلك هو المعبر عنه في المصطلح النقدي بالمعلم الأسلوبي وإذا كان ذلك كذلك فإن ما
سنقدمه من الشواهد هو من قبيل بعض مواضع الاعتراض وليس جميعها.

1- الاعتراض بين القسم وجوابه: ومنه قوله تعالى "قالوا نفقد صواع الملك ولمن جاء به
حمل بغير وأنا به زعيم قالوا تالله لقد علمتم ما جئنا لنفسد في الأرض وما كنّا سارقين". (20)
فقوله - لقد علمتم - اعتراض بين القسم وجوابه، وفائدته تقرير إثبات البراءة من
الفساد، والنزاهة من تهمة السرقة. (21)

2- **بين إذا وجوابها:** كما في قوله تعالى "وإذا بدلنا آية مكان آية - والله أعلم - بما ينزل - قالوا إنما أنت مفتر بل أكثرهم لا يعلمون". (22)

فهذا الاعتراض (والله أعلم بما ينزل) إذا وجوابها... وفائدته إعلام القائلين إنّه مفتر، أن ذلك من الله وليس منه وأنه أعلم بذلك منهم. (23)

3- **اعتراض بين المعطوف والمعطوف عليه:** ومنه قوله تعالى "وإذا قتلتم نفساً فادّارأتم فيها والله مخرج ما كنتم تكتمون فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحيي الله الموتى ويريك آياته لعلم تعقلون" (24) فقوله - والله مخرج ما كنتم تكتمون - اعتراض المعطوف عليه وفائدته أن يقرر في نفوس المخاطبين وقلوب السامعين أن تدارؤ بني إسرائيل في قتل تلك النفس لم يكن نافعاً لهم في إخفائه وكتمانه". (25)

4- **الاعتراض بين الفعل والفاعل:** ومما ورد شعراً قول امرئ القيس:

ولو أن ما أسعى لأدنى معيشة كفاني
ولكنما أسعى لمجد مؤثّل
- ولم أطلب - قليل من المال
وقد يدرك المجد المؤثّل أمثالي

تقديره كفاني قليل من المال، فاعتراض بين الفعل والفاعل بقوله - ولم أطلب - وفائدته تحقير المعيشة وأنها تحصل بغير طلب ولا عناء، وإنما الذي يحتاج إلى الطلب هو المجد المؤثّل (26).

5- **الاعتراض بين اسم أن وخبرها:** كقوله كثير:

لو أن الباخلين - وأنت منهم -
رأوك تعلموا منك المطّالاً
فاعترض بين اسم أن وهو الباخلين وبين خبرها وهو رأوك وفائدته ههنا التصريح بما هو المراد. (27)

6- **الاعتراض بين المفعول والفعل:** ومنه قول الشاعر:

ردّ الصقال بهاء الصارم الخدم
رذنت رونق وجهي في صحيفته
وما أبالي - وخير القول أصدقه -
حقنت لي ماء وجهي أم حقنت دمي

فقوله: وخير القول أصدقه اعتراض بين المفعول والفعل، لأن موضع حقنت نصب؛ إذ هو مفعول أبالي وفائدته إثبات ما ماثل به بين ماء الوجه والدم أي أن هذا القول صدق وليس بكذب. (28)

والاعتراض في كلام العرب كثير قد جاء في القرآن وفصيح الشعر ومنثور الكلام، وهو جار عند العرب مجرى التأكيد وغيره من الأغراض التي وضع لها، وكما رأينا بعضاً منها ممثلاً في القرآن الكريم وفصيح الشعر ولم نرد أن نستوعبه في هذه الدراسة وأعددناه إطلالة تمهّد الدراسة التي نحن بصدها فيما يأتي من الصفحات.

تمثل الجملة الاعتراضية في نماذج وصور ظاهرة أسلوبية تغري بالنظر وتستدرج قارئها للدراسة؛ لأن الكاتب وظفها بوعي ولم يأت بها عرضاً في النص، بل ساقها لأغراض وغايات...

وبالجملة الاعتراضية - كما سنرى - تكثّف النص وبدأت معلما من معالمه وسنتتبع هذه الظاهرة الأسلوبية لنقف عليها بوصفها أداة تعبيرية لا تنفصلي عن مضمون النص ثم الجانب الوظيفي الذي يهدف الكاتب إلى توصيله إلى المتلقي من خلالها. ولا ندرس هذا المعلم الأسلوبية بحسب التقسيم الذي ذكرت بل تكون الدراسة متكاملة لا تنفصل عناصرها عن بعض.

أما قبل فإن الدراسة لا تقوم على أساس الانتخاب أو الاختيار العشوائي للنصوص التي وردت فيها الظاهرة الأسلوبية موضوع الدراسة بل سيقوم الباحث باستقصاء النصوص كلها؛ حتى يتسنى له دراسة الجملة الاعتراضية، كونها تشكلاً لغوياً، ولا يلج الباحث إلى مضامينه ومراميها إلا من خلال التحليل اللغوي الكاشف لجمال النص تركيباً وأداءً. وفيما يلي عرض النماذج ودراساتها:

- حينما وصف الكاتب ذلك الجو المهيّب الذي أحاط بالبطل عمر المختار يوم زج به الاستعمار الإيطالي في السجن، تجد الكاتب عبداللطيف الشويرف يوظف جملاً اعتراضية كثيرة مثلت الظاهرة الأسلوبية للمقال الذي خصصه للبطل الشهيد فقال يصفه .. واستشعر - وهو في سجنه - الأنس يغمر وجدانه وشمّ عبير الجنة.. على الرغم من اختناق زنزانته". (29)

ترى الجملة المعترضة - ها هنا - أبانت أن استشعار الأنس لم يأت من فراغ بل تولّد من قناعة وإيمان بقضية، دافع عنها من منطلق وطني وعقدي.

وهذا إرث حضاري وثقافي، لاشك أنهما العون والمدد في المحن والمواقف العصبية، وحينما يكون الإيمان هو الدافع فإنّ السنن الاعتيادية تتغير في تصور البطل وفي منظور المؤمن بقضيته العادلة فتتحول رائحة الزنزانة النتنة إلى أريج زكي يعطر المكان

الأثر - مجلة الآداب واللغات - جامعة قاصدي مرباح ورقلة - الجزائر - العدد الخامس - مارس: 2006م -
الذي يربط فيه المجاهد الرمز عمر المختار. وقد ساق الكاتب هذه المعاني وكثفها في
تركيب استمد روعته وجماله من الجملة الاعتراضية التي أبانت عن الرعاية والتوفيق
والتحدي.

فقال "وشمَّ عبير الجنة يعطرُ جوه - على الرغم من اختناق زنزانته-، هكذا تجد
المؤمن بعدالة القضية يشم عبير الجنة وهو - على ما هو عليه - من تشديد وخناق على
المكان الذي تعود غيره أن يشم رائحته - كما هي - ننتة لتلوثها وضيق مكانها فضلاً عن
جوّها الخانق بل الدافع على القلق. فالاعتراض - كما ساقه الكاتب - أدى وظيفة المفارقة،
فضلاً عن الدور الآخر، وقد تمثّل في تقديم مفاهيم جديدة لم يعهدها الناس ولم يتعارفوا
عليها في ثقافتهم، إضافة إلى تقديم صورة البطل منتصراً، فتحطم الواقع المشاهد وبنى
الكاتب على أنقاضه صوراً تضيء درياً وتحكي إيماناً وتحدياً.

وفي السياق ذاته نجد الكاتب يقدم صورتين متقابلتين فيقول: أمره دينه بالجهاد ففهر
ولم يتأقل إلا الأرض - كما يتأقل المنافقون - وأغرته الآخرة بنعيمها فأثرها ولم يستبدل بها
متاع الدنيا - كما يفعل المترفون *. (30)

إن الاعتراض الأول كان مرتبطاً بدافع ديني - وهو الأقوى والأشد - فاختار له
فعل (نفر) الدال على سرعة الاستجابة ونفى عنه التثاقل وأسندته إلى المنافقين فبراً البطل
الشهيد عمر المختار من التثاقل والنفاق كونهما صفتين تلازمان المنافق - وفي الوقت ذاته
بيّن زهد المختار في الدنيا ورغبته في الآخر.

فقد وظّف الكاتب الاعتراض لغرض المدح والثناء فبناه على أساس المقابلة الدالة
على التحلي والتخلي. كما دلّ الاعتراض في الجملة الثانية قوله ... - كما يفعل المترفون -
على أن صاحب الذكر الطيب عمر المختار ليس من طينتهم هو على غير ما جبلوا، فقد
كان زاهداً في الدنيا ومتاعها الزائل وتعلق قلبه بوطنه فدافع عنه حتى آخر رمق من حياته.

أما من حيث القراءة اللغوية للنص فنجد أن الحركة كانت بدافع عقدي وأما التثاقل
فتولّد بسبب الفراغ. هذا عن المقابلة الواردة بين مضمون الاعتراض في الجملة الأولى
والمضمون السابق لها. أما الجملة الثانية فكانت على ذلك النحو؛ حركة نحو الآخرة بوصفها
الهدف الأسمى كون نعيمها يتمتع بالسيرورة والدوام. أما الاعتراض قوله - كما يفعل
المترفون - فمبني على الاستقرار الدال على الدعة - في غير أو أنها - واللعب حيث الجد.
(31) قوله "ولم يتأقل - كما يتأقل المنافقون - تجد فيه أن الثناء بدامن قبيل التشبيه الذي

تسلب المفاضلة في بينه من المشبه، وبذا لا يتضح أن الموصوف (المشبه) أفضل في الواقع من المشبه به الوارد في الجملة المعترضة، وهذا هو الوصف الذي رمى إليه الكاتب.

فصفة السلب نفاها عن المختار بقوله (ولم يثاقل) فبنية الفعل نفسها تدل على الركون والتعاس وقد نفاهما عن البطل بأداة الجزم الدالة على النفي. أيضاً لكنه في المقابل ألحقها بالمنافقين ليدل على مدى ارتباطهم بالأرض والتثاقل إليها والركون إلى الدعة واللعب. وهكذا اتضح أن الجملة الاعتراضية السابقة أبانت عن مفهوم التمثيل في عدم التماثل (32) فالنص ورد على غير السائد أو النمطي.

وهنا لا يفوتنا أن نشير إلى أن الكاتب عبداللطيف أحمد الشويرف يتمتع بحس مرهف وقدرة فائقة على التعامل مع الأساليب التي تستدرج من لا يعي مسالكها - نجد وعيه باللغة في هذا التركيب السابق الذكر قوله: "وأغرته الآخرة بنعيمها فأثرها ولم يستبدل بها متاع الدنيا - كما يفعل المترفون.

فقد تنبّت الكاتب في هذا التركيب الذي يفوت من لا يفقه فلسفة نظمه (33) أقول تمسك بالتركيب الدال على التفضيل والحب، فنفي الفعل من أصله (لم يستبدل) ثم أعقبه بالجار والمجرور (بها) أي أنها المفضلة (المتروكة) عنده. فدلّ هذا التركيب على قدرة الشويرف وحسّه اللطيف فلا يندفع وراء التدفق لحظة ولادة الفكرة فينفلت الأسلوب العربي من بيانه بل يصير على إخراج الفكرة في أجمل أسلوب وبهذا انتصر بجمال النظم إلى عمر المختار الذي جعل نفسه جسراً لحرية الليبي فكان الرمز والقضية.

وسلك الكاتب طريقة أخرى في التعبير عن ثبات البطل الذي لا يلين ولا يتزعزع، مهما كانت العواصف ومهما تعددت المغريات، هذه الشخصية الفذة لا تتبدل ولا تلين. جعل هذه المعاني مضمّنة في الجمل المعترضة على النحو الذي بين يديك. فقال: (هذّه أعداؤه باليأس والتتكيل - إن لم يكفّ عنهم - فقال "والله أشدّ بأساً وأشدّ تنكيلاً" وأغروه بالمال والمنصب - إن مال إليهم - فقال "وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلاً" ووعدوه بالنجاة من الموت - إن استسلم لهم - فقال "وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله كتاباً مؤجلاً". (34)

فقد بيّن الكاتب الألاعيب التي انتهجها الأعداء لصد البطل عن قضيته، وكشفت كل جملة من الجمل المعترضة السابقة عن مرحلة من مراحل الاستدراج. فوصفه ثابتاً على عقيدته، مدافعاً عن دينه مغتماً بقضيته المتمثلة في إخراج الاستعمار الإيطالي من وطنه ليبيا، هُذد باليأس والتتكيل - إن لم يكفّ - وهذه خطوة ومنهج في الاستدراج. وفي الجملة

الأثر - مجلة الآداب واللغات - جامعة قاصدي مرباح ورقلة - الجزائر - العدد الخامس - مارس: 2006م -
الثانية تحوّلت اللهجة إلى اللين، وعبر عنها المؤلف بالإغراء بالمال والمنصب - إن مال
إليهم - ولمّا لم يجد عن نهجه الذي رسمه تحوّلوا إلى أسلوب أشدّ ليناً فقال - إن هو
استسلم -.

فقد تدرج العدو في حوار البطل وكشف الكاتب هذا في إطار الاعتراض الذي أبان
عنه وفق التدرج الرتبي - إن هو كفّ -، - إن هو مال -، - إن هو استسلم - فقد وردت
كلها جملاً اعتراضية دلّت في مجموعها أن عمر المختار هو الأقوى بعقيدته وقضيته؛ لأن
جمل الشرط توحى بالتهديد ثم الإغراء - كما هو واضح في الجملة الأولى ثم الأخيرتين،
غير أن جمل جواب الشرط كانت من القرآن الكريم بوصفه مصدر العقيدة ومنهاج الدعوة
والتحدي والقانون الذي لا يعلم أتباعه إلا الثبات والصبر، في مثل هذه المواقف التي تقفها
الشعوب المضطهدة في وجه أعدائها الذين اعتدوا عليها ظلماً وعلواً. ولا يفوتنا أن نشير إلى
أن الحوار الدائر بينه وبين العدو صاغه الكاتب على لسان العدو اعتراضاً في أسلوب
الشرط ومن قبل البطل الرمز قرناً يتلى جواب الشرط ليقول القول الفصل "ودوا لو تدهن
فيدهنون"؛ لأن نقاط الالتقاء غير واردة وأن الكفر والإيمان لا يلتقيان مهما كان الأمر،
والنور والظلام لا يجتمعان مهما كان الحيز.

وهكذا استطاع الكاتب أن يخرج هذا إخراجاً ينتصر فيه الحق؛ لأنّ البطل يمثل
عقيدة وقضية ومنهاجاً مما حدا بالاعتراض أن يغلب عليه اللين "ودوا" وغلب على الإجابات
أن تكون تحدياً يزكي أهل "قما وهنوا".

وعندما تناول الكاتب عبداللطيف أحمد الشويرف موضوع "القانون" وقد جعل للنّاس
أمنًا ونظامًا ونهجاً يسير على منواله المجتمع فتستقيم حركته واحتكاكه ببعض، فلا ينبغي هذا
على ذلك ولا تعتدي أمة على أخرى، غير أن الواقع أحدث مفارقة في موقف القوي من
الضعيف على مستوى الأفراد والجماعات، وفيما اتصل بالعلاقات الدولية التي تحتكم للقانون
للنيل من الضعيف ومحّقه وجعل الغلبة للقوي وتمكينه بغطاء القانون وإن كان معتدياً
ظالماً- وجد الكاتب عبداللطيف الشويرف هذا التناقض في التعامل مع القانون سواء كان
مدنياً أو أحوال شخصية أو قانوناً دولياً، وقد عالجه معالجة بوصفه رجل شريعة ورجل
سياسية في آن، ولا أريد هاهنا أن أعرض حديث الكاتب عن القانون وفلسفته، لكن الذي
يعينني هو الاعتراض في سياقه الموضوعي ثم بوصفه ظاهرة أسلوبية في إبداع الشويرف.

فقد عاب الكاتب على الذين يتلاعبون بالقانون ويجعلونه في خدمتهم، وفي الوقت
ذاته يتباكون على تعطيله، بعدما ينتهكون أحكامه ويتجاوزونها، وعن هؤلاء يقول "وتظاهروا

الأثر - مجلة الآداب واللغات - جامعة قاصدي مرباح ورقلة - الجزائر - العدد الخامس - مارس: 2006م -
بالغيرة عليه كما يتظاهر - بغير الحقيقة - المنافقون" (35) ... وقوله "فهم كيني إسرائيل
الذين استحلوا محارم الله بالخديعة والمكر وأخذوا الربا - وقد نهوا عنه - وأكلوا أموال الناس
بالباطل". (36)

فالجملة المعترضة، في المثال الأول أبانت عن خلق يلزم المنافقين، وقد ضمّن
الكاتب الاعتراض - بغير الحقيقة - معاني كثيرة ودلائل شتى واستغنى به عن كلام كثير
وبه مثّل الاعتراض إيجاز حذف، والإيجاز من معالم الأسلوب البليغ.

وأما الاعتراض الثاني - وقد نهوا عنه - فقال استعار الكاتب التعبير من القرآن
الكريم - كما لا يخفى - وضمنه النص وقد جاء ملتئماً في سياق نظمه وهذا مرده إلى
الصدق، صدق التاريخ وصدق النص (القرآن الكريم) وصدق الواقع، وقدرة الكاتب أن يجمع
هذا في الاعتراض وما ضمّه إليه من وصف... منه قوله "يمدّدون القانون كما تمّدّد قطعة
المطاط - باسم المرونة والتيسير - ويلوون أعناق نصوصه كما يلوى قضيب الحديد - بحجة
التأويل والتفسير ويوظفون لبقاة اللسان في التلاعب بألفاظ المواد وتحريف الكلم عن
مواضعه وإجازة ما لا يجوز". (37)

فهم كيني إسرائيل الذين استحلوا محارم الله بالخديعة والمكر وأخذوا الربا - وقد نهوا
عنه - وأكلوا أموال الناس بالباطل والغدر وأذابوا الشحوم المحظور عليهم أكلها وقبضوا ثمن
بيعها بالاحتيال واصطادوا حيتان يوم السبت المحرّم عليهم جشعاً وحباً في جمع المال". (38)
فقد ربط الكاتب بين الاعتراض والأنموذج (اليهود) في التلاعب بالقانون السماوي، فضلاً
عن القوانين الوضعية؛ حيث لا يلقون بالا لمعقب أو معيب فهم وسيلة إيضاح بلغة
الاعتراض وبأسلوب الكاتب، لا تليق إلا لهذا التجاوز والانتهاك.

وحينما أراد الكاتب أن يحدثنا عن أهمية الوطن ومكانته في النفس وفي بناء
الشخصية، حدثنا عن وطنه الأم، ليبيا حديث الوفي والمعتز، وساقه الحديث إلى المكانة
التي حازتها ليبيا في الوطن العربي فتكالب عليها الأعداء ليفصلوها عن الأمة العربية وما
استطاعوا. قال الشويرف "حاول أعداؤها أن يزيقوا فصيلة دمها فأبى دمها إلا أن يصرخ
بانتمائه العربي وضربوا حولها حصاراً لعزلها عن إخوانها فما زاده الحصار إلاّ اعتزازاً
بعروبيتها وتمسكاً بارتباطها الأسري ورسموا لها حدوداً ليخنفوا في داخلها أنفاسها فكانوا كمن
يرسم في الماء ويخط في الهواء ويقيم جداراً بطوب الخيال" (39) وعندما أراد الكاتب أن يبيد
لك صمودها وتصديها ساق ذلك في الجمل الاعتراضية معرباً بذلك أن الثابت لا يتحول
مهما كانت المحاولات التي تسعى لهدم كيان الأمة الواحد، وقد ساق ذلك في أسلوب الجمل

الأثر - مجلة الآداب واللغات - جامعة قاصدي مرباح ورقلة - الجزائر - العدد الخامس - مارس: 2006م -
الاعتراضية المفتحة بقوله: - على الرغم - وقد تكرر هذا الأسلوب أربع مرات متتالية قال
"بقيت - على الرغم من كيد الكائدين - جبهة من جبهات الأمة الواحدة. وارتفعت - على
الرغم من مؤامرات المتآمرين - حصناً من حصون الإسلام المنيع. واستمرت - على الرغم
من عقوق بعض الأقربين - فرعاً من فروع الشجرة الزكية. وظلت - على الرغم من محاولات
الكسر - עודاً صُلْباً في حُزْمَة الوحدة المباركة". (40)

فقد تميّز الأسلوب الاعتراضي بخصائص اتصلت ببنية النص وأخرى اتصلت
بالاعتراض نفسه، حيث جاء مشفوعاً بالأفعال المختارة عن وعي ... بقيت، ارتفعت،
استمرت، ظلت - وورد الاعتراض بعد هذه الأفعال دالاً على ما يسعى العدو أن تؤول إليه
ليبيا مما يتخيله (....) غير أن الأفعال السابقة للاعتراض تلاعت مع ما ورد في أوصاف
دالة على الثبات. والاعتزاز بالانتماء.. فقد ظلت ليبيا برأي الكاتب جبهة.. حصناً...
فرعاً... עודاً صلباً. ونلاحظ أن النص وثيقة تاريخية عظمية لواقع الأمة العربية التي
عاشت تمثل جسماً واحداً على الرغم مما مرت به من غزو واستعمار، فقد كانت الشعوب
العربية ترى العدو واحداً أينما حل وحيثما ارتحل وكانت بذلك جبهة وذاك حالها، وارتفعت
حصناً وهذا مكانها واستمرت فرعاً وهذا انتماؤها وظلت עודاً صلباً وهذا هواها لأنها لا تريد
أن تكون غير ذلك.

وقد رمى الكاتب بهذه الجمل المعترضة إلى الوفاء الذي دأبت عليه ليبيا لأمتها
العربية - أيامئذ - وما تزال.

ويأتي الكاتب بجملته اعتراضية، هي بمثابة رد العجز على الصدر - كما يقول
البلاغيون - لكنها لغاية السخرية (هذه بتلك) وبها بين سفاهة الإيطاليين الذين احتلوا ليبيا
وخرجوا منها اضطراراً لكن قلوبهم ظلت معلقة بها، كما أعرب الكاتب عن أفن آرائهم
وتهافت ادعاءاتهم وسخف أحكامهم. تجد كل ذلك مضمناً في التركيب الاعتراضي - الوارد
شبه جملة - قال الشويرف "ومادامت - في نظرهم - صندوقاً من الرمال فلماذا يتكالبون عليها
وليس في الدنيا أرخص من التراب ؟

وما دامت - في حسابهم - فقيرة. فلماذا يتنافسون على استكشاف كنوزها
ويتشتمون - في نهم - ريح نبطها الجذاب ؟

وما دامت - في تقديرهم - قليلة السكان فمن الذي استدعاهم ليكملوا نقصها
ويكثروا عديدها؟" (41)

اللافت للنظر أن الكاتب يكاد أن يتكئ على الجمل الاعتراضية في هذا المقام، مقام اتهام الإيطاليين لوطنه ليبيا بالفقر وقلة السكان، وقد وردت تلك التعابير في سياق الاعتراض وجاء الرد المفحم أيضاً في أسلوب الاعتراض كما رأيته في التركيب الاعتراضي شبه جملة: -في نظرهم -، -في حسابهم -، -في نهم - في تقديرهم، بمثابة الرد على زعمهم الذي أورده الكاتب في الكلمة الجملة قال: وصفوها - سخرية - بصندوق مغلق من الرمال وما علموا أن رمالها تربة البطولات ومنبت الشجعان ورموها - استصغاراً - بقلة السكان. وجعلوا أن هذا القليل في النائبات كثير. وعيَّروها - احتقاراً - فقرها المادي ونسوا غناها المعنوي الذي يفوق كل غنى. (42)

ولابد من الإشارة - هنا - إلى وظيفة الاعتراض في السياق، ففي الاعتراض الوارد شبه جملة وظفه الكاتب للسخرية، وتقف على تلك الدلالة بالنظر للفعل الناقص (مادام) ثم جعل شبه الجملة تعترض اسم ما دام المحذوف وخبرها هكذا. وما دامت في - نظرهم - صندوقاً. ثم أعقب خبر الفعل الناقص استفهاماً ساخراً مما جعل دلالة السخرية في الاعتراض تتأكد بل تتضاعف. وما ورد في هذا السياق هو عينه الذي تضمنه الاعتراضان - في حسابهم - في تقديرهم - تركيباً ودلالة، ولا يفوت الباحث أن يشير إلى جملة اعتراضية ثانية وردت في المثال الثاني وهي قوله - ويتشممون - في نهم - ربح نبطها الجذاب" فتراه يعجب من المفارقة التي حلت في عقول الإيطاليين، وقد عدوا ليبيا فقيرة وعيروها بذلك بيد أنهم يتشممون - في نهم - ربح نبطها الجذاب. فقد نزل الكاتب - ساخراً - بهؤلاء من الآدمية إلى الحيوانية؛ إذ استعار لهم صفة حيوانية - يتشممون - وأسندها إليهم على سبيل التهكم والمبالغة في البحث والتركيب الاعتراضي الوارد حالاً - في نهم - دل على مدى التقنن في البحث بغية اكتشاف الكنز!

كما تجد الجملة الاعتراضية في نماذج وصور في سياق الحديث عن الأسطول الإيطالي الذي زار ليبيا - بعد أن أخرج الطليان منها - زيارة مفاجئة، وكتب ساعتها الأديب عبداللطيف الشويرف مقالاً بعنوان (أسطول) واستعان في نقل الفاجعة بأسلوب الاعتراض وافتتح الموضوع بقوله "زائر ثقيل حل - على غير موعد من المزور - وطفيلي سخي لم توجه إليه دعوة للحضور. وطارق غريب اقتحم باب غير بيته - بلا استئناس - ولا استئذان". (43)

فقد دلَّ الاعتراض - حل على غير موعد - على الرعونة وقلة التحضر والهمجية والاستخفاف في آن، وأعقبها بجملة اعتراضية أخرى تتفق معها في الدلالة والمرمى: "وطارق

غريب اقتحم غير بيته - بلا استئناس ولا استئذان" وقد مهّد الكاتب للاعتراض بكلمات شتى بقلة التحضر وهي: طارق، غريب، اقتحم، فالطارق الغريب في عرف الأمم والشعوب المتحضرة يستأذن عند الدخول، ولمّا لم يتحل الإيطاليون بهذا الخلق وبالعرف الدبلوماسي، فيما يعرف بين الدول بعضها ناسبه فعل (اقتحم) الدال على التعجرف وقلة اللباقة ثم جاء بالمفعول به (غير بيته) ليؤكد الصفات التي ساقها من قبل وهي: ثقيل، سخي، ثم أورد الجملة المعترضة لتكون بمثابة النهاية المؤسفة الدالة على الاستخفاف والخروج على الأعراف الدولية.

وفي ثنايا المقال نفسه افترض سائلاً يجد في هذا الاقتحام صفحة جديدة وعهدا غير مسبوق فلم يشأ أن يجعل اسماً لمُحَاوِرِهِ واكتفى بوضعه في إطار الاعتراض فقال: "ثم متى - أيها القائل - كان يشدنا إلى الطليان حبل مودة حتى نخشى عليه من القطع والانفصال". (44)

قوله - أيها القائل - جملة اعتراضية نشي بالاحتقار والاستخفاف، فلم يذكره باسمه ولم يصفه بالمواطنة واكتفى بنعته بالقول ليس إلا ! وهذا تأثير قاس أدته الجملة الاعتراضية، وتلك وظيفة من وظائفها كما ترى.

وأما في المقال الذي خصصه للوطنية معنى وممارسة ثم تجاوزا، فقد وصفها أوصافاً تليق بمقامها ثم عرّج بالحديث عن الذين يستأهلون أن يلحقوا بها وينعتوا بأوصافها وبها يعرفون فقال: "تُسبِت إلى الوطن وهو نسب طيب الأعراف... حُلوة الجرس، رشيقة اللفظ، عذبة النغم، بديعة البناء، بطاقة التعريف بالهوية، والملمح البارز للشخصية، ووثيقة الانتماء إلى التراب العزيز..." (45) واستمر الكاتب يحيط بالألفاظ والتعبيرات الدالة على معنى الوطنية إلى أن انتهى إلى كونها وساماً، وشهادة، وحسن ذكر، وربط كلاً من هذه المعاني، بما يؤكده، موظفاً لذلك الاعتراض - كما عهدناه - من قبل. فقال "وسام الشرف المعلق على صدور المجاهدين - بحق - في سبيلها وشهادة التقدير الممنوحة للعاملين - بجد - من أجلها وحسن الذكر للناطقين - في صدق - باسمها. (46)

فقد ورد الاعتراض - كما ترى - في سياق النظم الواحد ب (حق، جد، في صدق)، وقد كان الكاتب عبد اللطيف الشويرف يتمتع بحس مرهف في اختيار الكلمات؛ فحين عرّف الوطنية بأنها وسام الشرف، المحلّي على من نعت بالوطنية - بحق - فدلّ الاعتراض على حالة حامله؛ لأن من الناس من علّقت على صدورهم النياشين وأعطيت لهم الجوائز ونودوا في كل مناسبة لكن الأجدر بما أعطوا لغيرهم. وحين عرّف الكاتب الوطنية بأنها شهادة

التقدير لاعمها بالاعتراض - بجد - الدال على المعاناة والمكابدة؛ لأن النجاح لا يكون حليفاً إلا للقادرين عليه. أما الذي يهتف بالوطنية - وهي منه براء - فلا يواتيه ذكرها؛ لأنه لا يقنع الوطني الحق بهتافاته الجوفاء وادعاءاته الكاذبة؛ كون الصدق أقرب الطرق للإقناع.

واللافت للنظر أن الاعتراض السابق أعطى دلالات الجدارة والأهلية والاستحقاق، كما ورد كل أسلوب منها - شبه جملة: حال والباء الجارة في الجملتين الأولى والثانية أشربت معنى المصاحبة ودل حرف الجر (في) في الجملة الثالثة على تمكّن المظروف من الظرف هكذا - في صدق -.

وحين تتأمل الجملة السابقة على جملة الاعتراض، تجدها شبه جملة أيضاً. قال الشويرف "وسام الشرف المعلق على صدور المجاهدين"؛ أي علامة أو وسام دال عليهم. وحرف الجر (على) في البين جيء به للدلالة على الاستعلاء المجازي، وإذا دلّ الوسام على الذين حازوه، فإن الدلالة هاهنا - بالفعل ولذلك جاءت الجملة المعترضة لتؤكد هذا المعنى فكانت (-بحق-). والطريف أن الجملة التي تتلو الجملة المعترضة ليست جملة كاملة بمصطلح النحاة بل هي شبه جملة (في سبيلها)، وأبانت لك أن الجهاد كان مقصوراً على من تحلوا بالوطنية دون غيرهم.

والتركيب الذي عرفته في الجملة السابقة تجده في الجملتين الثانية والثالثة؛ قوله: للعاملين بجد - من أجلها، للناطقين - في صدق - باسمها. وجيء باللام في النظم السابق أعني الجملة الأولى والثانية لتدل على الاستحقاق وجاءت شبه الجملة في كل من المثالين شاهداً عليه - بجد - وشبه الجملة عقب الاعتراض تدل على أن الجهد المبذول كان لأجل الوطنية، لا لغيرها.

وأفادت هذا المعنى (من) التي استعيرت لمعنى اللام الداخلة على الاسم (أجل). وحاصل المعنى، مما سبق. مفاده أن شبه الجملة جيء بها لقصر العمل على الوطنية ليس إلا!

أما الجملة الثالثة فترى أن اللام في قوله (لناطقين) تضمنت معنى الاستحقاق الذي يفهم من الاعتراض (-في صدق-) وأعقب الاعتراض شبه جملة قوله (باسمها) لتدل على أن حسن الذكر مصحوباً باسمها - حين النطق - أي أن الناطقين لا يكون ذكرهم حسناً ما لم يكن مصحوباً باسمها، وبه يتضح أن الشويرف قصر حسن النطق على اسم الوطنية ولا يتعداه إلى غيرها (47) من الأسماء والمسميات.

وهكذا اتضح أن الجملة المعارضة كانت مترابطة ترابطاً عضوياً مع البين الذي

وردت فيه، ونرى هذا من وجوه أهمها:

- أن أسلوب الاعتراض ورد فيما سبق شبه جملة تتوسط شبه جملتين، وقد بينا جمال تراكيبيها بالوقوف على معاني حروف الجر فيها.

- تضمنت كل جملة متأخرة في كل مثال معنى القصر الذي أملاه الاعتراض. وكل هذا يدل على أن للكاتب حساً مرهفاً وقدرة فائقة على تركيب الجمل وفق نظام أسلوبى معين يؤكد أدبية النص، كما بين مدى نجاح الكاتب في اختيار الألفاظ ونسجها وفق نظام أسلوبى يميزه ويتميز به.

ولا يكاد الكاتب يبرح أسلوب الاعتراض حتى يعود إليه، نقف على ذلك في مقاله الذي خصصه لـ (العمال).

فبعد أن بيّن مكانتهم في قيام الدول وتأسيس الحضارات يصنعون ذلك في صمت، ومما جاء في وصفه إياهم قوله: "أقوياء يخالهم الغريب ضعفاء من التواضع، صامتون يؤثرون التعبير بالأفعال على ثثرة الأقوال... هم المستمتعون بلذة الحياة حيث لذة العيش في الجد والنصب... وهم الأبطال في منطقة الظل؛ لأنهم لا يعملون من أجل الجاه وتسليط الأضواء". (48)

واستمر الكاتب يحصي أفضالهم (في صور قلمية) إلى أن انتهى إلى الذين استعملوهم ولم يعترفوا لهم بفضل ... فقال ... "ولكن ... لم يعترف العالم - مع الأسف - بفضل العمال ولم يقدّرهم حق قدرهم ولم يحترم مكانتهم السامية ولم يحافظ على حقوقهم". (49)

جملة - مع الأسف - أسلوب اعتراض دلّ به الكاتب على امتعاضه كون العمال مغبونين ليس ذلك فحسب بل الاعتراض ذاته حمل نقداً لازعاً وعتاباً شديداً للذين يأكلون حقوق العمال، يستوي في ذلك الأفراد والجماعات، القطاع العام والخاص فقد ضاعت حقوق الكادحين، وهم يشتغلون مع المعسكر الرأسمالي أو المعسكر الشيوعي. قال "فهؤلاء أصحاب الأموال يمتصون دماءهم ليكونوا معها الأرصدة المالية.. وأولئك زعماء الغرب الرأسمالي استعملوهم لعبة رخيصة في مناورات الأحزاب والسياسة وقفزوا على ظهورهم إلى كراسي الحكم وسدّة الرئاسة.

... أما زعماء الشرق الشيوعي فنؤمّوهم بمخدرّ الجنة التي تنتظرهم في دنيا الأوهام ... وقتلوا في نفوسهم الرحمة وأحبوا فيهم الحقد على البشر وسلخوهم من عبادة الله ليعبدوا صنم الحزب الأكبر". (50)

أما المقال الذي خصصه للاجئين الفلسطينيين أراه يقطر أسى وحسرة؛ لأنه يلخّص الخديعة ويكشف عن الغدر السافر، وحتى أشرك القارئ الكريم أترك الشويرف يتحدث بنفسه عن إخواننا اللاجئين، دون تعليق مني قال في مطلع حديثه "الحطام الذي خلّفته المعركة في ساحة البغي. والركام الذي تجمّع من أنقاض غارة الغدر والأشلاء التي تطايرت من انفجار قنبلة المأساة... صحبة التآمر على أرض فلسطين الحبيبة وذبيحة الوليمة في يوم ميلاد إسرائيل اللقيطة. ونزيف الدم من الجرح الغائر الذي لا يريد أن يكفّ... مظلومون في حقهم لم يجدوا ضميراً لينصفهم؛ لأنّ للباطل سطوة ليست للحق في هذا الزمن الرديء المحكوم لمعدومي الأخلاق". (51)

ما وضعته بين يديك مما قال الكاتب في وصف إخواننا اللاجئين يُعد فيضاً من غيظ، وأكتفي به لأعود إلى موضوع الاعتراض.

وقد فزت في هذا المقال بثلاث جمل اعتراضية أشبعت ألباً وحسرة؛ كونها تلخّص الإهانة والاستخفاف والظلم الذي ألحق باللاجئين ومورس عليهم. قال الشويرف "تألّب عليهم الشرق والغرب فاقتلوه من أرضهم - وهم جذورها - وغرسوا فيها شذاذ الآفاق". (52)

إن الجملة الاعتراضية هاهنا قوله - وهم جذورها - لخصت تاريخاً بأكمله وأبانت لك أن الفلسطينيين هم أصحاب الأرض الأصليين؛ ووجودهم فيها معرق في القدم. فجاءت جملة الاعتراض أبلغ مما نتصور، إن الحديث عن فلسطين بوصفها الشجرة الضاربة بجذورها في الأعماق، سر حياتها واستمرارها هم الفلسطينيون ولكن مورس الظلم عليهم، وحاول اليهود الملاعين اجتثاث الشجرة لغرس أشجار بديلة لا يجمعها وطن واحد، وقد أحسن الكاتب وأجاد حين وصفهم بشذاذ الآفاق.

أما الجملة الثانية فهي قوله "وتآمرت عليهم الدول الكبرى فأخرجتهم من ديارهم - وهم مالكوها - ووهبتها لمن ليس لهم فيها شبيهة استحقاق". (53)

فقد وردت الجملة الاعتراضية لتدل على التآمر الخسيس وعلى الخبث الدفين، ليس فقط من شذاذ الآفاق بل من أولئك الذين ادعوا أنهم (كبار) ليسوا أفراداً بل دول سعت للتخلص من اليهود في أوطانها، فوجدت في فلسطين أرضاً بديلة فأخرجت أهلها الفلسطينيين

الأثر - مجلة الآداب واللغات - جامعة قاصدي مرباح ورقلة - الجزائر - العدد الخامس - مارس: 2006م -
من ديارهم حالة امتلاكهم إياها ووهبتها لمن ليس لهم فيها شبيهة استحقاق على حد تعبير
الكاتب.

أما الجملة الثالثة فقد ساقها في أثناء حديثه عن هيئة الأمم المتحدة، فقال يصف
تلاعبها بحقوق اللاجئين واستخفافها بهم. قال "... ولكي تبدو المنظمة العتيدة إنسانية في
تعاملها -وتظهرها الدعاية رحيمة في إجراءاتها أوتهم في مخيمات يفترشون فيها الأرض
ويتغطون بالسماء وخصصت لهم حياة للإغاثة تمدهم بفتات الطعام المتساقط من موائد
الكرماء، وجاملتهم ببعض القرارات الباردة أعطتهم - على الورق فقط - حق العودة إلى
وطنهم السليب". (54)

لم ير الفلسطينيون مما كتب على الورق شيئاً فقد تلاعبت بهم الدول وظلت تعدهم
(خيراً) في كل مناسبة، وهكذا ضاع حق اللاجئين في العودة أو يكاد؛ كونه - كتب على
ورق فقط - ولم يكن مهوراً بالمتابعة من قبل الكبار. وبهذا الاعتراض تستشف السياسي
الممزوج برهافة الحس اللغوي الكائن في الشيخ عبداللطيف الشويرف، تقف على ذلك من
خلال أسلوبه، فقد قدّم قوله "وجاملتهم ببعض القرارات الباردة" على الجملة المعترضة -
أعطتهم على الورق فقط - فقد رمى بالبرودة إلى الموت أي أن ما يقرر يموت بمجرد
تلاوته. وتلك دلالة على عدم الاكتراث بمعاناة الشعب الفلسطيني، صاحب القضية داخل
فلسطين وخارجها.

وفي السياق ذاته عندما تناول موضوع الحرية وجد(الأوصياء) عليها يكيلونها
بمكيالين، فقال "ملأوا الدنيا زعيقاً بأنهم حمايتها الغيرون. وأوهموا الناس جميعاً بأنهم سدنتها
المحافظون وأدعوا-بوقاحة- أنهم شرطتها الذين هم عليها ساهرون". (55)

فقد دل الاعتراض (-بوقاحة-) على أن الكاتب ينعت بهذه الكلمة الجملة
(الأوصياء) على الحرية بجميع الأوصاف التي تليق بأخلاقهم الدنيئة. ومن الصعب على
الإنسان عدّها لكثرتها وهاك ترى الكاتب استطاع أن يكثف كلامه ويحصره في أسلوب
اعتراضي وجيز، وذاك يشير إلى وظيفة الاقتصاد اللغوي التي تتلخص في الاعتراض.

وللكاتب نقد اجتماعي ساخر، فحين سلط الضوء على أولئك الذين تتبدل أحوالهم
فجأة؛ من الفقر المدقع إلى الغنى الفاحش، دون سابق آيات ومعالم تشير لهذا التحول
المفاجئ، وقد ساق ذلك في إطار الترميز الذي مثله في بناية فخمه أعجب بها فحاورها،
حواراً امتلاً حسرة وأسى.

أعجب بها فجعل يحاورها الحوار الذي أبدى فيه الحسرة والأسى ونقل عبره السخرية والاستخفاف وجعل الاعتراض وسط العقد كونه النقطة الفاصلة بين فعل الكينونة وفعل الصبرورة ونقتطع من الحوار الطويل مقطعاً يجمع الهدف والغاية معاً.

قال "فما السر الذين تخفين أيتها الغائبة الحاضرة ؟

وما الأمر الذي تحجبين وراء أسرارك أيتها الظاهرة الباطنة ؟

هل أمطرت السماء على صاحبك ذهباً وفضة حتى اشتراك من حرما له واحتواك جارية في حريمه، فإننا نعرف صاحبك - قبل استوائه على الكرسي- رقيق الحال خاوي الوفاض، لا يجد ما يحلق به شعر رأسه". (56) ثم استرسل الكاتب يصف حالة صاحب (الدائرة) قبل التحول الذي طرأ عليه، وصفا يدل على أنه إسقاط على نموذج بشري يعيش في دنيا الناس، قال "كان بالأمس القريب مزمناً فاقه كأن بينه وبين الفقر صداقة حميمة لا يسمح الزمان بفك رباطها، كان رقيقاً ملازماً للحرمان كأنهما موقعان معاهدة انسجام وحسن جوار لا يجوز لأحد الطرفين إلغاؤها... فما باله قد ضحك تحت جناحه ولما يمش على تربعه في الكرسي سنة واحدة؟ وكيف وضعك جوهره في تاجه ولما يختف أثر الفقر من ملامح وجهه الجائعة؟ ومن أين له المال الذي اشتراك به ومرتبته لا يصل إلى عشر ثمنك لو وقَّره بتمامه وكماله خمسين عاماً (57) ؟

قالت: "اعلم أيها السائل الملحاح أن طينتي ممزوجة بدماء الشعب التي امتصها وهيكل مقام على أقوات الناس التي سرقها وجدران مطوية بالعرق المتصبب من جباه الكادحين". (58)

واستمر الكاتب يسرد ما حكته (الدائرة) عن هذا الرجل الذي امتلكها ولم يكن حرياً بها وعدت ذاك من تعاستها وسوء حظها. وفي أسلوب ساخر وعتاب شديد استطاع الكاتب أن يمرر رسالته الهادئة في هذا الترميز الجميل والحوار الممتع.

ونعود إلى الجملة المعارضة السابقة - قبل استوائه على الكرسي- فقد مثَّل الاعتراض برأينا في النص تلخيص هذا التحول الطارئ على صاحب الدائرة ليقارن الكاتب بين زمنين، ما قبل الاستواء وما بعده، وقد فضَّل المرتبط بفعل الكينونة (كان) ثم بسط الكلام و أشفعه بفعل التحول والصبرورة (صار) ليدلِّك بالجملة الاعتراضية السابقة أن نماذج كثيرة في دنيا الناس تتحول فجأة، ودون تقديم جهد يعادل ما استولت عليه وحققته عنوة!

وفي السياق نفسه (السخرية) نجد الكاتب يعالج ظاهرة اجتماعية أخرى تفتشت في المجتمعات العربية، تمثلها تلك الطبقة التي ترغب في اعتلاء الكراسي والوصول إليها كيفما

الأثر - مجلة الآداب واللغات - جامعة قاصدي مرباح ورقلة - الجزائر - العدد الخامس - مارس: 2006م -
كان الحال وبأي ثمن، فيأتي الشويرف بجمل اعتراضية ليسخر من أولئك الوصوليين. قال:
على لسان أحدهم "إن شيخي" في الطريقة" وشيخك - الشيء الله - سيدي الشعاب، وقبلتي
في الوجهة وقبلتك - أعزها الإسترليني - أرض الضباب، وكعبتي في القصد وكعبتك -
شرفها الدولار - بلد ناطحات السحاب". (59)

إن الجمل الاعتراضية السابقة، دل بها الكاتب على سفه تلك النماذج البشرية
الهابطة، حينما ذهبت تعظم معالم لا تنتمي إلى حضارتها أو مقدساتها الوطنية والإسلامية.
أما الجملة الاعتراضية الأولى في النص السابق قوله - الشيء الله - فهي عبارة
تتلوها العامة في المغرب العربي الكبير كلما ذكر ولي صالح وقد هدبها الكاتب! فهي تتلى
هكذا (الشاي لله) تعظيماً وتقديساً لصاحب الذكر الطيب من أصحاب الصلاح والولاية، وقد
أوردها الكاتب في هذا المقام للسخرية ليس إلا !

أما الجملة الثانية: قوله - أعزها الإسترليني -، فقد جاء بها على تعظيم
الوصوليين لرموز الأجانب. والعملة من أهم الرموز وأقدسها، وقد جعلها الوصولي قبلته
ومبتغاه "ولكل وجهة هو موليها" وقد جاوز الاعتراض بين السخرية والكينونة في آن وتلك
دلالة نستشفها، وهي أن الاعتراض تكثيف لغوي واقتصاد وترميز. وما قيل في الجملة الثانية
ينسحب على الجملة الاعتراضية الثالثة قوله - شرفها الدولار -.

فقد زاحج الكاتب بالجمل الاعتراضية والكنيات السابقة بين الاختزال، فيما اتصل
بالأسلوب والتهكم في توظيف مصطلحات الأدب الشعبي أو اللغة الدارجة. ووجه الاعتراض
والكناية نقداً لاذعاً لهذه الشريحة وقد جف ماء الحياء من وجوها حتى جعلت مكان الأجنبي
في أوطانها رمزاً مقدساً تحج إليه و تتردد عليه.

والنص السابق الذي عالج الكاتب فيه ما سبق من الأفكار ليس مقصوداً على
مجتمع الكاتب، بل ينسحب هذا الوصف على الأقطار العربية جميعها حاشا دول الخليج
العربية التي يحج لها المهاجرون من العرب وغيرهم، كما ينسحب الوصف على دول العالم
الثالث التي تغادر بلدانها، كالطيور المهاجرة تغدو خماًصاً لتروح بطناً - كما في الحديث.

مما يدل على أن مضمون النص تخطى مجتمع الكاتب واستوعب غيره من
المجتمعات التي يتصرف أفرادها على ذلك النحو الذي وصف لك، وهذا مما يعطي للنص
حياة متجددة. وكذلك يكتب أهل الفكر آراءهم بلغة الاستيعاب والشمول وليس بلغة الانقباض
والتفوق. وهو المعبر عنه عند النقاد بعالمية الأدب.

كما نجد الكاتب يوظف الجمل المعترضة، للشيخ المتصابي بوصفه نموذجاً للإنسان الذي يريد أن يعيش زمنين: زمن فاته وصار مواتياً لغيره، وزمنه الذي يعيش أيامه الشاهدة له أو عليه، فكشف الكاتب عن الحيل التي يلجأ إليها (المتصابي) والأفكار التي تدور في خلد، ووظيفتها في النص معنى ومبنى. قال الشويرف يصف صاحبنا "شيخ كبير يفكر بعقلية طفل وجثة ضخمة، تحلم بأحلام العصافير، وتجربة طويلة لم تخرج باستثمار ولم يتوفر لها رصيد". (60)

وقد كان يرى المتصابي، أن له عدوين يتعاونان على هـُـد كيانه وتفكيك أوصاله ... العدو الأول عمره. وأما العدو الآخر فجسمه الضخم المترهل الذي تكثر فيه النتوءات والانخفاضات وتتوزع على سطحه - بلا نظام - الأودية والمنعطفات وتسوده حالة من عدم الانسجام. (61)

قوله يصف جسم المتصابي - بلا نظام - فتلك تهمة ألحقها المتصابي بجسمه وهي منه ولا تنقص عنه، كونها آية دالة على تقدم سنه وعلامة على شيخوخته، وقد لخص الكاتب حديث المتصابي يصف نفسه، بالجملة الاعتراضية قوله - بلا نظام -؛ حيث شبه جسمه بتضاريس جغرافية، ليدل على عدم التناسق والانسجام اللذين تتحلّى بهما أجسام الشيوخ.

ويسترسل الكاتب في وصف هذا الشيخ الأحق كونه لم يخضع للأمر الواقع ولم يقبل سنة الحياة في مجراها الطبيعي؛ فهي لا تقبل أن تتوقف أو تتأخر بل تأخذ في سيرها ومع هذا "كبر عليه - لغبائه - أن يستسلم لغول العمر يلتهمه قطعة بعد قطعة ويرغمه على ركوب قطاره السريع لينقله من محطة إلى محطة ويقربه شيئاً فشيئاً من خط التوقف النهائي الذي لا خط بعده" (62) ثم علق الكاتب على الشيخ المتصابي فقال "حز في نفسه لحماقته - أن تُجفّف الشيخوخة ماء رونقه". (63)

فقد أبان لك الكاتب بالجملتين المعترضتين سخافة هذا المتصابي كونه اتصف بالغباء، لما لم يتعظ بالزمان وسيرورته التي يتحول فيها الصغير إلى الكبير والجديد إلى البلى والنضارة إلى القبح...

ويصر المتصابي أن يظل أحق! إنه يريد من السنن الكونية أن لا تجري عليه؛ فلا يتحول حاله من قوة إلى ضعف ومن صحة إلى مرض وناسب حماقته وصف الكاتب

الأثر - مجلة الآداب واللغات - جامعة قاصدي مرباح ورقلة - الجزائر - العدد الخامس - مارس: 2006م -
إياه فقال "... وتحرمه (الشيوخة) حصة إضافية للعب في ميدان الشباب ولا تحتسب له "بدل
الوقت الضائع". (64)

وقد وجد الشيخ المتصابي عذاباً في سبيل الانتصار على أخايد الزمن وما فعلته
فيه. قال الشويرف "واحتمل هذا العذاب- في صبر عنيد- ففي سبيل الرشاقة يركب كل
صعب ويستسهل كل شديد". (65)

قوله - في صبر عنيد - جملة معترضة⁽⁶⁶⁾ دلّ بها الكاتب على أن الغباء
والحمق عقدا مع المتصابي اتفاقاً، لذلك لم يجد حرجاً في أن يكون جلدأ مصابراً في سبيل
أن يتحوّل ممّا آل إليه إلى ما كان عليه.

وقد استعار للصبر لفظة عنيد ليدلّك بها على معنى الاصطبار والجلد وهما أقوى
في التعبير بالصبر غير الموصوف، كما هنا، أما الاصطبار الحقيقي والموصوف فنجد في
قوله تعالى يحض المؤمنين عليه، قال تعالى: "يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا
واتقوا الله لعلكم تفلحون" (آل عمران: 200).

بقي أن نقف على أساليب الاعتراض في نماذج وصور.

أساليب الاعتراض في نماذج وصور:

تعددت الأساليب التي ورد عليها الاعتراض في موضوع الدراسة، فقد ورد بين
الفعل والفاعل، وبين الفاعل والمفعول وبين مفعولين لفعل متعدٍ، وبين المبتدأ والخبر ثم بين
اسم الفعل الناقص وخبره، وبين الجملتين المتعاطفتين وبين الصفة والموصوف وبين إنَّ
وخبرها ثم الاعتراض بالكلمة الجملة وفيما يلي نقف على هذه الأساليب.

1- بين الفعل والفاعل:

وردت جملة الاعتراض من حيث موضعها بين الفعل والفاعل. وأما من حيث
أسلوبها فجاءت شبه جملة حالية. كما في نقده الذي وجهه للذين يتلاعبون بالقانون؛ حيث
يخضعونه لأهوائهم ومصالحهم الضيقة. فقال "وتظاهروا بالغيرة عليه كما يتظاهر - بغير
الحقيقة - المنافقون" (67) فجملة الاعتراض كما أسلفت واقعة بين الفعل والفاعل موضعاً. أما
من حيث الأسلوب فحالا في إطار شبه الجملة. كما يتكرر الاعتراض على هذا النحو في
قوله يصف شيخاً متصابياً "العدو الآخر: جسمه الضخم المترهل الذي تكثر فيه النتوءات
والانخفاضات وتتورّع على سطحه - بلا نظام - الأوديّة والمنعطفات". (68)

2- بين الفاعل والمفعول به:

الأثر - مجلة الآداب واللغات - جامعة قاصدي مرباح ورقلة - الجزائر - العدد الخامس - مارس: 2006م -
ويأتي الاعتراض بين الفاعل ومفعوله كما في قوله يصف الإيطاليين وهم يبالغون في البحث
عن البترول في ليبيا "... ويتشتمُّون - في نهم - ريحَ نفطها الجذاب". (69)

ويتكرر الاعتراض في الموضع نفسه، في قوله له يصف عمر المختار "واستشعر
-وهو في سجنه- الأتس يغمر وجدانه" (70) فجملة الاعتراض بين الفاعل المضمر ومفعوله،
أما تركيب الاعتراض فوردت جملة اسمية (مبتدأ وخبر) وهي جملة حالية والواو فيها لذلك
كما لا يخفى.

3- بين المفعولين:

وتجد الاعتراض على هذا المنحى الأسلوبي يرد في قوله، يصف تعامل هيئة الأمم
المتحدة مع اللاجئين يوم أخرجوا من وطنهم فلسطين عنوة. "... وجاملتهم ببعض القرارات
الباردة أعطتهم - على الورق فقط - حق العودة إلى وطنهم السليب". (71)
فقد وردت جملة الاعتراض بين مفعول أعطى الأول وهو الضمير البارز المتصل
(هم) والمفعول الثاني لأعطى (حق).

أما جملة الاعتراض - على الورق فقط - فهي شبه جملة أبانت عن الكيفية التي
أعطيت بها الوعود؛ فهي حبر على ورق ليس إلا! وما دام حال القرار على هذا النحو فإن
ذلك لا يضير إسرائيل. وقد زواج الكاتب بين أسلوب الاعتراض ووظيفته في التركيب
السابق.

4- بين اسم الفعل الناقص وخبره:

وتأتي الجملة معترضة بين اسم ما دام المضمر وخبرها. أما تركيب الاعتراض فهو
شبه جملة. اختاره الكاتب بدقة ووعي. وقد تكرر هذا النمط الأسلوبي عند الكاتب ثلاث
مرات. قال عن وطنه ليبيا كما ينظر إليه الإيطاليون "وما دامت - في نظرهم - صندوقاً من
الرَّمال. فلماذا يتكالبون عليها في الدنيا أرخص من التراب؟!

وما دامت - في حسابهم - فقيرة فلماذا يتنافسون على استكشاف كنوزها؟!
وما دامت - في تقديرهم - قليلة السكّان فمن الذي استدعاهم ليكمّلوا نقصها
ويكثروا عديدها؟! (72)

فقد تكرر الاعتراض الواقع بين اسم ما دام وخبرها ثلاث مرات وفي كل منها ورد
شبه جملة كما ذكرت.

أما الاعتراض الأول فدلالته التقدير المادي الصرف؛ لذلك أعاب الكاتب على أصحاب النظر بالاستفهام الساخر الذي أملته المفارقة العجيبة بين الحكم على ليبيا بالفقر ثم البحث عن الكنز في أرجائها.

أما الاعتراض الثاني فكشف الكاتب فيه أن العبرة بالكيف لا بالكَم في حساب الرجال وعدّهم. وأردع الخصم، في المثال، بالاستفهام؛ كون القوم لزوا أنفسهم بمضمون الاعتراض إلى ما لاحق لهم فيه وهو دخولهم ليبيا بزعم زيادة عدد ساكنيها! وأما الاعتراض الثالث فأبان الكاتب فيه أن الضحك على الأذقان لا يكون جامعاً مضمون الاعتراض ونقيضه الملخص في الاستفهام المشبع بالاستغراب.

5- بين المتعاطفين:

وترد جملة الاعتراض بين جملتين متعاطفتين. ومنه قوله "تألّب عليهم الشرق والغرب فاقتلعوهم من أرضهم - وهم جذورها - وغرسوا فيها شُذّاذ الآفاق" (73) وقوله في السياق نفسه أعني اللاجئين وما صنّع بهم. "وتأمّرت عليهم الدول الكبرى فأخرجتهم من ديارهم - وهم مالكوها - ووهبتها لمن ليس لهم فيها شبهة استحقاق". (74)

فجملة الاعتراض في المثالين السابقين هي جملة حالية مركبة من مبتدأ وخبر - قوله: وهم جذورها - وهم مالكوها - واعترضت كل منها بين الجملتين المتعاطفتين.

وجملة الاعتراض في السياق لها دلالتها العميقة التي لا تخفى فهُم جذورها حالة اقتلاعهم منها وهم مالكوها حالة إخراجهم منها "وتقديمها لمن ليس لهم فيها شبهة استحقاق".

وتعترض الجملة الحالية الجملتين المتعاطفتين في نماذج وصور. قال يصف المتلاعبين بالقوانين يطوعونها كيف شاؤوا "فهم كبني إسرائيل الذين استحلّوا محارم الله بالخدعة والمكر وأخذوا الربا - وقد نُهوا عنه - وأكلوا أموال الناس بالباطل والغدر". (75)

فجملة الاعتراض - وقد نُهوا عنه - أبانت أن اليهود يصرون على أكل الربا حالة نهيمهم عن أكله. ويستفاد من الجملة الحالية كذلك أن المتلاعبين بالقانون ينالهم حظ التصوير والمقارنة والمقاربة بفحوى المشابهة.

وفي السياق ذاته تجد جملة الاعتراض بين المتعاطفين في قوله "يمدّدون القانون كما تمدّد قطعة المطاط - باسم المرونة والتيسير - ويلوون نصوصه كما يُلوى قضيب الحديد بحجة التأويل والتفسير". (76)

الجملة المعترضة (باسم المرونة والتيسير) جيء بها للدلالة على التحايل حتى يتسنى لهؤلاء تطويعها لأهوائهم ونزواتهم الضيقة. وقد وقعت الجملة بين المتعاطفتين. أما تركيبها فهو شبه جملة دلّ على أن التحايل ما كان ليستقيم للمراوغين لولا الحركة الاستعارية المزعومة على المرونة والتيسير! ولا يخفى عليك أن قوله (بحجة التأويل والتفسير) هي من قبيل اعتراض التذليل وهو الذي يأتي في نهاية الجملة الأخيرة وهو كثير في القرآن الكريم.

6- بين الصفة والموصوف:

وتأتي الجملة الاعتراضية بين الصفة والموصوف لتدلّ بوضعها على التحول الكائن بين مضمون فعل الكينونة ومضمون فعل الصيرورة قال يخاطب "داره" تملّكها من لا يملك ثمنها: فإننا نعرف صاحبك - قبل استوائه على الكرسي - رقيق الحال خالي الوفاض لا يجد ما يحلق به شعر رأسه الأشعث". (77)

فجملة الاعتراض وظفها الكاتب ليعطي وصفاً جامعاً بين حال هذا الثري الذي تحوّل دون مقدمات والبون شاسع بين قبل وبعد الاستواء على الكرسي الذي مكّنه من هذا الثراء، وهذا نقد صريح لواقع نرى نماذج تزداد كل يوم في دنيا الناس.

7- بين اسم إنّ وخبرها:

ونجد جملة الاعتراض في نماذج وصور ترد بين اسم إنّ وخبرها. فحين ينتقد الكاتب وصولياً يسعى إلى الكرسي وبكل الطرائق والوسائل المتاحة وغير المتاحة. يقول على لسان الوصولي "إنّ شيخي في "الطريقة" وشيخك - الشيء الله - سيدي الشعاب (78) فقد جاء الاعتراض مبتدأ وخبر بين اسم إنّ وخبرها.

8- بين اسم ظل وخبرها:

ومنه قوله يصف وطنه ليبيا: وظلت - على الرغم من محاولات الكسر - عوداً صلباً في حزمة الوحدة المباركة. (79)

فقد وردت الجملة الاعتراضية - على الرغم من محاولات الكسر - بين اسم ظل وخبرها. أما التركيب الذي ساقها الكاتب فيه فهو شبه جملة دلّ على مدى ارتباط ليبيا بالجامعة العربية وهي ترزح تحت نير الاستعمار الإيطالي الذي كان يحاول أن يعزلها عن إخوانها فاستعصت عليه لصلابة عودها.

9- بين المبتدأ والخبر:

ومنه قول الشويرف يصف عاشقاً الكرسي "وقبلتي في الوجهة وقبتك - أعزها الإسترليني - أرض الضباب وكعبتي في القصد وكعبتك - شرفها الدولار - بلد ناطحات السحاب". (80)

فقد اعترضت الجملة الأولى - أعزها الإسترليني - المبتدأ والخبر، وهي جملة فعلية، فعلاً يدل على الحصانة والمناعة غير أن الكاتب أسنده إلى رمز الأجنبي، ليدل على وقاحة المتحدث وسفاهته وما انسحب على الجملة الاعتراضية الأولى ينسحب على الجملة الاعتراضية الثانية موقعاً وبناء فدلالة.

10- بين الاستفهام والفعل الناقص:

تقف على هذا المنحى الأسلوبي في قوله يُردُّ على من زعم أنَّ زيارة الأسطول الإيطالي فجأة لفتح صفحة جديدة في العلاقات الإيطالية الليبية فردَّ الكاتب يقول "وإن كانت مجاملة فبُست المجاملة التي تتبسم بأفواه المدافع الثقيلة وتصافح بآلاف الجنود. ثم متى- أيها القائل- كان يشدنا إلى الطليان حبلٌ مودة حتى نخشى عليه من القطع والانفصال". (81)

فقد وردت جملة الاعتراض في أسلوب النداء واقعة بين الاستفهام والفعل الناقص كان والاعتراض هاهنا يشي بالاحتقار والاستخفاف بدلالة النداء دون ذكر اسم المنادى والاكتفاء بما صدر عنه من قول مشين يخدش الوفاء للوطن ويسوغ للرأى الثقيل!

11- الاعتراض بالكلمة:

وليس الاعتراض مقصوراً على الجملة الاسمية أو الجملة الفعلية أو شبه الجملة في نماذج وصور بل يأتي الاعتراض كلمة جملة ومنه قول الشويرف "وصفوها - سخرية - بصندوق مغلق من الرمال... ورموها - استصغاراً - بقلة السكان.. وعيروها - احتقاراً فقرها المادي". (82)

فقد وردت الجملة الكلمة اعتراضاً بين الجملة الفعلية وشبه الجملة كما في المثال الأول والثاني. أما الجملة الثانية فإنَّ الكلمة الجملة اعترضت بين مفعولين أما دلالة الاعتراض في الجمل الثلاث فقد تضمنتها كلمة الاعتراض ذاتها - سخرية، استصغاراً، احتقاراً، وجميعها مفعول لأجله. وهكذا توافقت دلالة الاعتراض ودلالة المصدر كما لا يخفى.

وهكذا مثل الاعتراض ظاهرة أسلوبية، في نماذج وصور، لها وظائفها التي وقفنا على كل منها فضلاً عن الأسلوب الذي وردت فيه، وبدا أنَّ المبدع لا يتقيد بالقاعدة والاكتفاء بالسائد، بل يتخطى القاعدة ويتجاوزها، إلى غيرها من النماذج التي تعطي لأسلوبه

الأثر - مجلة الآداب واللغات - جامعة قاصدي مرباح ورقلة - الجزائر - العدد الخامس - مارس: 2006م -
التميز والانفراد، وهذا الذي وقفنا عليه من النماذج النظرية ونماذج الدراسة التي تُعد قراءتها
إضافة إلى الدرس النقدي القديم وفق رؤية جديدة تطل من متن جديد أكد الظاهرة الأسلوبية
القديمة لكن وظفها الكاتب بوعي ودقة ووقف الباحث على جمال النظم وخصوصية الأسلوب
من هذه القراءة التي تسعى للإضافة النقدية وفق الجمع بين النظرية والتطبيق.

الإحالات

- القرآن الكريم
- ابن الأثير، ضياء الدين، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، قدّمه وعَلّق عليه د. أحمد الحوفي ود. بدوي طبانه، دار نهضة مصر للطبع والنشر.
- ابن حجة الحموي، تقي الدين أبي بكر، خزانة الأدب وغاية الأرب، شرح عصام شعينو، مكتبة الهلال بيروت 1987.
- ابن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد الطبعة الثانية القاهرة 1374هـ/1955م.
- أبو علي محمد بن الحسين بن المظفر الحاتمي، حلية المحاضرة، تحقيق د. جعفر الكتاني، بغداد 1979.
- أحمد مطلوب، الدكتور معجم المصطلحات البلاغية، مكتبة لبنان ناشرون 2000.
- أيّدمر، محمد بن سيف المستعصمي، الدر الفريد وبيت القصيد، تحقيق د. وليد محمود خالص، المجمع الثقافي، أبوظبي 2003.
- سيدي محمد حبيب الله الجكني، زاد المسلم فيما اتفق عليه البخاري ومسلم. دار الفكر القاهرة 1981.
- لسان العرب لابن منظور.
- عبداللطيف أحمد الشويرف نماذج وصور، نشر جمعية الدعوة الإسلامية العالمية ليبيا.
- (1) اللسان مادة عرض.
- (2) صبح الأعش في صناعة الإنشاء 183/14
- (3) النهاية في غريب الحديث 280/4
- (4) حلية المحاضرة 175/1.
- (5) العمدة 54/2.
- (6) ينظر د. عبدالقادر حسين المختصر في تاريخ البلاغة العربية دار الشروق، بيروت، 1984م، ص79، وما بعدها.
- (7) تقي الدين أبي بكر المعروف بابن حجة الحموي خزانة الأدب وغاية الأرب شرح عصام شعينو 280/2. مكتبة الهلال بيروت 1987.

- (8) ابن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تقديم وتعليق د. أحمد الحوفي ود. بدوي طبانه 42/3 دار نهضة مصر للطبع والنشر القاهرة د.ت.
- (9) المثل السائر 42/3، بتصرف.
- (10) سورة البقرة 24.
- (11) سورة آل عمران 36، والزمخشري وابن عاشور وقفات طيبة في هذه الآية وللزيادة ينظر بحثنا التمثيل في عدم المماثلة قراءة في جهود المفسرين.
- (12) سورة غافر (17).
- (13) المثل السائر 42/3.
- (14) مسلم 162/21، نقلاً عن التعبير في صناعة الشعر والنثر لابن أبي الإصبع تحقيق د. حفني شرف ص 128 القاهرة 1995.
- (15) سيدي محمد حبيب الله الحكني، زاد المسلم فيما اتفق عليه البخاري ومسلم، المجلد الخامس، ص 384، دار الفكر.
- (16) المصدر نفسه، ص 385.
- (17) المثل السائر 48/3.
- (18) المثل السائر 47/3.
- (*) المثل السائر 48/3.
- (19) سورة البقرة 102.
- (20) سورة يوسف 72.
- (21) المثل السائر 42/3.
- (22) سورة البقرة
- (23) المثل السائر 43/3، بتصرف.
- (24) سورة البقرة 72.
- (25) ابن الأثير، المصدر السابق 45/3.
- (26) ابن الأثير، المصدر نفسه 45/3.
- (27) المصدر نفسه.
- (28) المصدر السابق، 46/3.
- (29) نماذج وصور، ص 12.
- (30) نماذج وصور، ص 9.
- * المثالان من نماذج اعتراض التنزيل.
- (31) يذكر أحد تلاميذ الإمام عبد الحميد بن باديس باعث النهضة الجزائرية - رحمه الله - أنه صافح أحد طلابه في حفل وداع أقيم بمناسبة انتهاء السنة الدراسية فسأله الإمام ما أنت فاعل في

الإجازة فأجاب سأتمتع باللعب فقال: الإمام إنني بريء منك كيف يحلو لك اللعب وأمتك تحت نير الاستدمار الباغي.

(32) يراجع بحثنا التمثيل في عدم المماثلة قراءة في جهود المفسرين.

(33) أعني أن الباء تدخل على المتروك كما في قوله تعالى: "ويستبدلون بالسينة الحسنة".

(34) نماذج، ص 11.

(35) و (2) نماذج وصور، ص 47-48.

(37) نماذج وصور، ص 47-48.

(38) نفسه، ص 48.

(39) نماذج وصور، ص 52.

(40) نماذج وصور، ص 52-53.

(41) نماذج وصور، ص 53.

(42) نفسه، ص 53.

(43) نماذج وصور، ص 69.

(44) نماذج وصور، ص 73.

(45) نماذج وصور، ص 75.

(46) نفسه، ص 75.

(47) ومثل هذا القصر نجده في قول الخنساء تبكي أخاها وتقصر حسن البكاء عليه ولكنه في الوقت نفسه يقبح في حق غيره قالت:

إذا قُبِحَ البكاء على قتيل

رأى

ت بكاءك الحسن الجميلا

(48) نماذج وصور، ص 79.

(49) نفسه، ص 82.

(50) نماذج وصور، ص 82 بتصرف.

(51) نفسه، ص 89.

(52) نماذج وصور، ص 91.

(53) نماذج وصور، ص 91.

(54) نفسه، ص 91.

(55) نماذج وصور، ص 105.

(56) نماذج وصور، ص 115.

* البناءة الفخمة عند الليبيين (فيلا).

- (57) نماذج وصور، ص ص 115-116.
- (1) نماذج وصور، ص ص 115 - 116.
- (59) نماذج وصور، ص 26.
- (60) نماذج وصور، ص 135.
- (61) نماذج وصور، ص 135 بتصرف.
- (62) نماذج وصور، ص 136.
- (63) نفسه.
- (64) نماذج وصور، ص 136.
- (65) نفسه، ص 138.
- (66) لا يفوتك هنا أن الاعتراض هو اعتراض التذييل، وهو الذي تنتهي به الآية فيكون كالفلanke.
- (67) نماذج وصور، ص 47، 135، وينظر ص 136.
- (68) نماذج وصور، ص 47، 135، وينظر ص 136.
- (69) المصدر نفسه، ص 53.
- (70) نماذج وصور، ص 12.
- (71) نفسه، ص 91.
- (72) نماذج وصور، ص 53.
- (73) نماذج وصور، ص 91.
- (74) نماذج وصور، ص 91.
- (75) نماذج وصور، ص 48.
- (76) المصدر نفسه.
- (77) المصدر السابق، ص 115.
- (78) المصدر نفسه، ص 26.
- (79) نماذج وصور، ص 52.
- (80) نماذج وصور، ص 26.
- (81) المصدر نفسه، ص 72-73.
- (82) نماذج وصور، ص 53.